Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأرابيسك الشعرى عند عفيفى مطر(*)

يطلق مصطلح "الأرابيسك" من منظور عالمى على منظومة الفنون الجميلة العربية، وطابعها البنيوى الّذى يعتمد على تكرار الوحدات فى أنساق طباقية، سواء كان ذلك فى صلب المادّة الّتى يتشكّل منها الفنّ، أو فيما يلحق بها من زخارف، كما يحدث فى المعمار والرّسم والنّحت. لكنه قد يتعدّى هذه الفنون ليشمل أنواعاً خاصّة من الإيقاعات الموسيقية الّتى تتّسم بهذا الطّابع. وبوسعنا أن نعتبر تكرار التّفعيلات المنتظم فى الشّعر العربى خاصية من صميم الأرابيسك، وأن نعدّ أشكال الجناس والطّباق وغيرها من ألوان الزّخرف البديعى الّتى غلبت عليه فى العصور المتأخّرة مظهراً لسيطرة هذه الخاصيّة عليه مع شئ من القصور فى وظائفها الجمالية.

غير أنّنا نودّ عند إطلاق هذا المصطلح على أسلوب شعرى حداثى أن نلحظ فيه عاملاً جوهرياً أكثر أهمّية وخطورة من تلك المظاهر الشكلية، يتمثّل فى تحقيق لون من الخصوصية المحلية ذات الطّابع العريق، بحيث يكون استجابة جمالية لموروفولوجيا الفنون العربية، دون الاقتصار على الجانب الزّخرفى المنبثق منها. ويحقّ لنا حينئذٍ أن نتساءل : أين موقع فنّ الأرابيسك بين التّعبير المعتمد على التشخيص وأساليب التّجريد الفنّىّ؟ إذ ليس بوسعنا أن نغامر جزافاً بنسبته المريحة إلى أحد هذين القطبين المتباعدين، فهو لا يقدّم محاكاة لما يبدو فى الحياة الخارجية ولا تمثيلاً عضوياً لخواصها الطبيعية. لكنه فى الآن ذاته لا يلغى الخطوط الهندسية المنتظمة والمتوقعة بقوانينها المميزة وأثرها الوظيفى والجمالى، ولا ينتهى إلى إطلاق التّجريد وعفويته وصفاته. إنّه يقترح حلّه الخاص عبر تكرار عدد من الوحدات المتجانسة والمتطابقة لتكوين نماذج كلّية تشير إلى ذاتها فيما تسعى إلى تحقيق وظائفها الجمالية فى قلب الحياة الخارجية. ومن ثم فإنه يقع فى منطقة وسطى بين التّعبير والتّجريد؛ لها خواصها الأصلية. هكذا نجد شعر عفيفى مطر، ومعه عدد آخر من الشّعراء المصريين والعرب، منهم حسن طلب وغيره، يبنون أسلوبهم الشّعرى على نمط "الأرابيسك" مع اختلاف الألوان الفرعية ووحدة المصادر العربيّة الإسلامية، دون أن يكون أحد منهم رهين الغربتين؛ غربة الزّمان

(*) منشورة فى كتاب "أساليب الشعرية المعاصرة".